

المحاضرة الأولى : مدخل إلى النص السردي الجزائري المعاصر

توطئة:

ظهرت بعض الأشكال السردية الجزائرية الأولى ، والتي لم تكن لها في البداية ملامح خاصة ، بل كانت متأثرة بآداب أخرى سابقة لها سواء على مستوى كتابة كل من المسرح ، القصة أو حتى الرواية فيما بعد ، ومن بين ما نسجله على ظهور المسرح كنص سردي جزائري ، ومن بعده القصة الجزائرية كموضوعات ارتبطت بفترات مهمة من تاريخ الجزائر ؛ سياسيا ، اجتماعيا ، وحتى اقتصاديا ، ما يلي:

أولا : نشأة النص المسرحي الجزائري :

- ظهرت نماذج من المسرح التقليدي ، اتسمت بالبدائية والسذاجة من بينها الرقص والتواصل الشفوي.
- كما ارتبط بشكل مباشر بالحكايات التي ضمت الحديث عن الأسطورة والخرافة وسرد البطولات ، والتي اتصلت بشكل مباشر بمناسبات اجتماعية كالختان والزواج ، ودينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف واقتصادية أيضا ، فكان مسرحا طقوسيا بامتياز.
- تأثر المسرح الجزائري ببعض الأشكال التي ظهرت في المسرح الغربي من مثل مسرح خيال الظل ، والقراقوز الذي يعتمد على الدمى المتحرك ، وصندوق الدنيا.
- وجود علائق واضحة بين المسرح الجزائري والمسرح الأمازيغي والفينيقي ، والروماني وغيرها والدليل على هذا الارتباط تشييد المسارح في العديد من المدن الجزائرية من مثل :مسرح تمقاد والمسرح الروماني ، والمسرح العتيق .

ثانيا:نشأة الأشكال القصصية الجزائرية

عرف نوع القصة الجزائرية أشكالا مختلفة أشار إليها شريط أحمد شريط بالآتي:
1-المقال القصصي:

عرفت الحياة الأدبية والثقافية والفكرية الجزائرية بانتعاش وبتطور ملموس خلال العقد الثالث من هذا القرن ، ومع مرور الايام تطور شكل المقال الإصلاحي في بعض الكتابات إلى مقال قصصي وبدا أنه يغير شكله الأول ، ولا غرو في ذلك لأن كتابه أعضاء في جمعية العلماء ، ومن المتحمسين لأفكارها وكانوا يبحثون عن الطرق الناجعة لإيقاظ الهمم ، وإصلاح النفوس ، وقد وجد بعضهم في المقال القصصي ضالته ، وقد عرف في بدايات ظهوره بأنه كان مزيجا من عدة أنواع أدبية كالمقامة والرواية والمقالة الأدبية ، تأثر بشكل مباشر بالمقال الديني الذي عرف ازدهارا على يد رجال الحركة الاصلاحية.

2 - الصورة القصصية:

تناولت الصورة القصصية في بداياتها الموضوعات الاصلاحية التي عالجها المقال القصصي ، واتسمت بقصر الحجم الذي يعد أهم ميزة يشترك فيها مع القصة القصيرة. يعد هذا الشكل الأدبي ، أقرب الأشكال إلى القصة القصيرة الفنية فهو الخطوة الفنية التي سبقت ظهورها ، وهذا ما يفسر معاناة التحول في بعض النماذج الأدبية الأخرى لدى محمد بن العابد الجلالي ، وأحمد بن عاشور ، وأحمد رضا حوحو وعبد المجيد ، الشافعي ، إذ يمكن عد هذا التحول بمنزلة الظروف الصعبة التي ترافق حصوله على حجم مستقل تحدده سمات وعناصر خاصة. وقد استمر هذا التهيؤ ، الفني إلى مشارف الخمسينات ، حيث اتضحت معالم القصة الفنية ، وذلك بتأثير من تطور الحركة الأدبية الجزائرية ، وتراكم الخبرات الأدبية لدى الأدباء أنفسهم ، واطلاعهم على نماذج القصة الفنية. ويمكن أن نحصر ملامح الصورة القصصية في النقاط التالية:

- تهتم الصورة القصصية بعنصر القص ، وبالحدث ، كما هو ، وليس بتطوره.
- الشخصية في الصورة القصصية نموذجية لعينة من شرائح المجتمع ولهذا فهي غير ثابتة ، ونامية ، كما أنها لا تتفاعل مع الحدث القصصي .
- الحوار لا تديره الشخصية الأدبية ، وإنما تطفئ عليه شخصية الكاتب ويحس القارئ بالتدخل المباشر للكاتب الذي يكشف عن مرداه وثقافته.
- نقص التركيز ، وكثرة الحشو ، والاستطراد والتفاصيل .
- وأما من حيث المضمون فقد حاولت الصورة القصصية أن تستوعب مضمونات جديدة. فإلى جانب تركيزها على المشاكل الاجتماعية ومعاناة الإنسان اليومية في ظل سلطة المحتل اهتمت أيضاً بإبراز أعمال المستعمر وآثاره السيئة في المجتمع ، وأدانت بعض التقاليد السلبية التي تعرقل التطور الإنساني وأسهمت إلى جانب المقالة في تقديم المبادئ الإصلاحية والأخلاق الدينية.

□ - القصة الفنية:

ظهر هذا الشكل مع جيل الثورة الأدبي أين كان للثورة مساهمة واضحة في تطور القصة القصيرة الجزائرية نفسها مع أهم أعلامها ، من مثل عبد الحميد بن هدوقة ، محمد الصالح الصديق ، الحبيب بناسي ، عبد الله خليفة الركيبي ، عثمان سعدي ، أبو العيد دودو ، الطاهر وطار ، زهور ونيسي .

وقد ظهرت ضمن شكلين بارزين ؛ القصة التقليدية ، والقصة الحديثة ، وقد جاء وجه التباين بينهما على مستوى صيغ سرد الأحداث ، أو على مستوى الأسلوب الذي جمع في أحيان كثيرة بين الرسالة ، واليوميات والمذكرات وأسلوب المقاطع . كما تم التركيز فيها على شخصيات متنوعة وقف فيها القاص بالتحليل والدراسة على نفسياتها ، وهمومها ، من مثل شخصية المرأة ، شخصية الخائن ، شخصية الأجنبي الفرنسي ، وشخصية الأجنبي غير الفرنسي ، وهذا ما سمح بشكل واضح في تعدد إبداع الشخصيات بين السياسية ، والاجتماعية والمصدر الخيالي .

4- القصة الجديدة:

ساهم تطور الحياة الثقافية والأدبية التي عرفتھا الجزائر ، فظهر ضمنھا فريقان ؛ الأول التزم بالقواعد الفنية من مثل كتابات مصطفى فاسي ، مرزاق بقطاش ، أحمد منور ، جميلة زنير ، جيلالي خلاص. أما الفريق الثاني فقد ثار على تقاليد الكتابة السابقة ، وحاول أن يكتب بشكل مختلف. كما كان كتابھا يوثقون بعض تصوراتهم وآرائهم حول هذا الشكل في الصحف والمجلات من مثل:

✓ قصص جروة علاوة الذي تميزت بالغموض والتركيز على الأماكن المفتوحة كالمقاهي.

✓ قصص محمد الصالح حرز الله الذي امتازت بالقصر البالغ ، والذي يبلغ في بعض الأحيان مجرد بضعة أسطر ، كما حاول الاستفادة في كتاباته من فنون أخرى كفن المسرح ، وفن السينما ، وفن الشعر ، كما كان يركز في كتاباته على أسلوب المونولوج ، وكثيرا ما يلجأ إلى تضمين قصصه مقطوعات لشعراء معروفين كشعر عبد الوهاب البياتي ، وأحمد فؤاد نجم ، ونزار قباني.

هذه بعض المحطات المهمة التي سجلناها فيما يتعلق بظهور الأنواع والأشكال السردية في الأدب

الجزائري.